

# عطر الخامسة فجرًا

حمادة حامد محمود نور الدين

عطّار الحسين اللي دكانه ميفتحش غير مع الأذان، عمره ما باع زبون عطر من الدفاتر.

الناس بتيجي لعم شعبان من كل حتة في مصر، في الزقاق الضيق اللي ورا سوق الخان، تلاقيه قاعد على كرسيه الخشب اللي أقدم من أبوه، والشمس لسه بتولد، وقدامه رف واحد بس فيه زجاجات صغيرة مفيهاش اسم ولا سعر. الزبون يقعد. عم شعبان ميسألش عن الاسم. بيسأل سؤال واحد:

«عايز تشم إيه؟»

وليه الفجر؟ الناس سألته مليون مرة، وجوابه واحد ومش بيتغير: «الخشم بيصحى قبل الوش. العصر الدنيا مزحمة والخشم تعبان. الفجر بس اللي الواحد يقدر يشم فيه اللي ورا الريحة.» وعلّمها له أستاذه، عطار المنشاوي القديم، اللي وريته الدكان والميزان والقاعدة الأهم: «العطر مش بيتباع يا شعبان، العطر بيتسلّم. انت أمين، مش تاجر.» واحدة عجوزة من الزقازيق قالت: «عايزة أشم ريحة بيتنا القديم يوم العيد الصغير وأنا عروسة.» عم شعبان قام من مكانه، فتح ضلفة ورا الستارة، رجع بزجاجة، قطرها على

منديل، وادّاها لها. الست شمت ووقعت على الكرسي تبكي: «القشطة يا شيخ شعبان... القشطة والياسمينة اللي على الشباك وريحة فحم أبويا وهو بيولّع السخان.» مشي من غير ما تدفع. عم شعبان ما بياخدش فلوس من اللي بيبكي من أول شمّة، دي قاعدته، لأن اللي بيبكي من أول شمّة بيبقى وصل.

راجل في الخمسين قال: «ريحة قطر الصعايدة لما كان بيوصل محطة أسيوط السبعينات.» اتعملت. واحدة شابة قالت: «ريحة حضن ماما، ربنا يديها الصحة، قبل ما تدخل عمليتها.» اتعملت، والبنت وقفت على الباب ترجع تدفع، عم شعبان لوّح بإيده: «ادفعي لما ترجعي ماما من المستشفى سالمة وتقوليلي شمت إيه.»

وفي طلبات بتاخد منه أيام وأسابيع. الحاجة كريمة من كفر الشيخ طلبت «ريحة الغيط ليلة العبارة غرقت»، عشان جوزها كان على العبارة ونجى، وكل سنة في ذكراها بتشم الريحة وتقول الحمد لله. عم شعبان فضل رايح جاي على المخزن تسع أيام لحد ما جمعها: طين مبلول، قصب محروق، سولار، وريحة اللبلاب اللي كانت على حيطة المدرسة اللي جنب الرصيف. ولما شمتها الحاجة كريمة

قالت: «نقصاك ريحة الرجال وهم بيجروا.» قال لها: «دي مش موجودة في الزجاجات يا حاجة، دي بتتشاف مش بتتشم.» فضحكت ودفعتله أجر يومين من غير ما يطلب.

وكان في دفتر صغير جنبه، مكتوب على غلافه «الطلبات الصعبة»، اللي بيسجل فيه الطلبات اللي بتاخد منه أيام: ريحة ليلة معينة، ريحة شارع اتهدم، ريحة واحد مات ومفيش منه هدوم تتشم.

وفي يوم من أيام الشتاء، دخل عليه راجل نضيف، متأبط كيس ورق من اللي بتتعمل في المطابع، وقال له أغرب طلب في تاريخ الدكان:

«عايز ريحة يوم لسه مجاش.»

عم شعبان رفع عينيه من الميزان. أربعين سنة في العطارة، سمع كل حاجة، بس دي أول مرة. «كل اللي بييجوا هنا عايزين الريح. انت عايز المستقبل؟»

الراجل قعد على الكرسي، وحط الكيس على رجليه، وقال بهدوء: «أنا اسمي مصطفى، دكتور صدر في مستشفى المطرية. عندي بنت

اسمها جنى، عندها تسع سنين. وأنا عندي سرطان في الرئة، والأطباء قالوا سنة، سنة ونص كتير. أنا مش خايف من الموت يا عم شعبان، أنا دكتور وشفت الموت كتير. أنا بس خايف من يوم واحد: يوم فرحها. أنا اللي كنت هزقّها وهي داخلة على جوزها، وأنا اللي كنت هقف أبوس راسها قبل ما تطلع. مش هبقى موجود. فجيتلك أعمل ريحة اليوم ده. عشان لما ييجي، حد يبقى معاه زجاجة فيها أبوها.»

عم شعبان سكت. مكتبته كلها وراه: أربعين سنة رياح الماضي، من أول ريحة طفولة لآخر ريحة عزاء. وقدامه راجل بيطلب ريحة يوم محدش شافه.

«الريح بتتعمل من حاجة حصلت،» قال له. «المستقبل مالوش ريحة.»

«ليه ريحة،» قال مصطفى. «بس محدش شمّها لسه. انا هقولك عليها، وأنت تعملها.»

وفتح الكيس الورق، وطلّع منه حاجات: فستان أبيض صغير، فستان جنى بتاع التعميد، محفوظ من تسع سنين في النايلون. وشريطة ستان من شعرها أول قصّة. وجواب مكتوب بإيد مراته، امه، اللي ماتت وهي بتولّد جنى، بتوصف يوم الفرح اللي كانت بتحلم بيه لبنتها: «قاعة فيها ياسمين، وجنى لابسة أبيض، والعريس يبقى ابن حلال يخاف عليها زي ما بوها كان بيخاف عليّا.» وسكر المولد، اللي مصطفى بيشتريه كل سنة في مولد النبي ويحتفظ بحتة منه «للفرح».

عم شعبان شم كل حاجة، وقعد يفكر ساعة كاملة، والشمس طلعت وملّت الزقاق نور، والناس وقفت برّه تستنى، وعم شعبان ما فتحش الباب.

وفي الآخر قال: «هتاخد مني شهر. وتعالى كل جمعة تشم معايا.»

مصطفى جاله كل جمعة. في الأول كان جاي لوحده، وبعدين في جمعة جاب جنى معاه، قالها إن عم شعبان «صاحب بابا بيعمله عطر هدية». جنى قعدت تلعب في الزقاق مع عيال الحارة، وعم شعبان شافها، وشاف ضحكتها، وفي الليلة دي ضاف للتركيبة قطرة

صغيرة من زيت الياسمين الأبيض اللي مبيستخدمهوش غير في المناسبات الكبيرة.

وفي جمعة، مصطفى ما جاش.

جات مكانه بعد أسبوعين، أخته، ومعاها الكيس الورق، وقالت: «مصطفى مات يا عم شعبان. ووصّاني أكمّل معاك. قال: قولي لعم شعبان يخلّص الريحة، والزجاجة تتكتب عليها: تتفتح يوم فرح جنى، ومتتفتحش قبلها.»

الشهر ده كان أصعب شهر في تاريخ عم شعبان مع العطارة. مش عشان التركيبة صعبة، عشان التركيبة عزيزة. كل جمعة كان يطلّع التجربة الأخيرة، يشمها مع مصطفى، ومصطفى يقول ملاحظته بدقة الدكاترة: «الياسمين زايد نقطة.» «السكر ده حلو أوي، الفرح مش حلو كده، الفرح حلو ووجع.» وفي الجمعة الرابعة، مصطفى شم الزجاجة وسكت، وسكته دي كانت أطول من كل كلامه، وبعدين قال وهو ماسك الزجاجة بإيديه الاتنين: «كده. كده بالظبط. ده أنا لو واقف في القاعة وشميت الهوا حواليّا بنتي، هشم كده.»

عم شعبان كمّل التركيبة لوحده، في أربع جمعات ما جاش فيهم حد، بعد ما العيلة بلّغته. وقفل الزجاجة بالشمع الأحمر، وكتب عليها بخطه: «لجنى - من أبوكي - تتفتح يوم فرحك.» وسلّمها لعمتها، وما خدش مليم.

وعدّت السنين. عم شعبان كبر، والزقاق صغر، والسياح كتر. وبعد ما الحكاية نسيت نفسها، في مساء من مساءات الصيف، دخلت على الدكان عروسة لابسة أبيض، معاها أختها وجوزها واقف على الباب محتشم، وفي إيدها زجاجة شمعها الأحمر متشقق من القدم. قالت لعم شعبان العجوز: «عمّو شعبان؟ أنا جنى بنت مصطفى. أبويا عمل عندك عطر من خمستاشر سنة. أنا النهارده فرحي، والزجاجة اتفتحت. وجيت أقولك... الريحة طلعت بالظبط زي ما هو وصفها. أنا وقفت في نص الفرح أشم أبويا.»

عم شعبان مسك إيديها الاتنين، وما قدرش يتكلم، وأشار لها على الضلفة الجديدة. العروسة قريت الورقة المعلقة عليها، وابتسمت، وقالت له قبل ما تمشي: «بابا كان بيقول إن العطر بيتسلّم مش بيتباع. أنا جيت النهارده أسلّمك إن الأمانة وصلت.»

الحكاية كانت ممكن تخلص هنا. بس عم شعبان، بعد الكلام ده بأربع سنين، وقّف شغل الماضي شوية. بقى عنده ضلفة جديدة ورا الستارة، جنب ضلفة الرجلين، اسمها «الأيام اللي جاية». رياح لأيام محدش عاشها لسه: ريحة أول يوم شغل لولد خايف، ريحة بيت جديد لعريسين فقرا، ريحة شفاء لواحدة لسه بتتعالج. الناس بتيجي تشتري ريحة يوم بيستنوه، وتشيل الزجاجة، وتقفلها، وتستنى.

وعلى باب الضلفة دي، عم شعبان علّق ورقة مكتوب عليها بخط إيده:

«الماضي بنشمه عشان نفتكر. والجاي بنشمه عشان نستحمل.»

— النهاية —

حمادة حامد محمود نور الدين

https://dakkan-alhikayat.netlify.app